وجه بين حذائين

محمد الماغوط

القلوب الوحيدة تقذف من النوافذ
النهود المهجورة تُقذف من الحافلات
والطاولة الارملة
تمدّ رأسها من النافذة وتبكي

كلمات اردّدها كالمجنون
في المقاهي والحوانيت
تحت النجوم وتحت بصاق الملايين
دون ان يفهمني احد
لا طفل ولا طائر
لا وحش ولا انسان
من الصباح الى المساء وذقني ترتجف
وانا اغني :
لقد ضاع زمان النبوغ والانزلاق على السلالم الطويلة
القمل على الازهار
القمل على حطام الطائرات

يُخيّل لي انني اتهاوى على الارصفة

سأموت عند المنعطف ذات ليلة
واصابعي تتلوى على الحجارة كديدان التفاح
انني ارى نهايتي
ألمح خنجراً ما في الظلام مصوّباً الى قلبي
عربة مطفأة
تنقل طاولتي واوراقي الى عرض الصحراء

ستهبّ ريح قوية حينذاك
تداعب اظافري القصيرة
وتكنس قصائدي كقشور الخضروات
ستنبت من لحمي آذان طويلة
اسمع من خلالها الضربات الاخيرة لشعبي
اسمع موسيقى الابواب المخلّعة
وهي تغلق بالحراب
بالاصابع المجلّدة على اطراف الشوارب
سأتأمل قدم الشرطي الغائصة في الوحل
وهي تقلب وجهي على الجانبين
ليعرف من انا
من هذا الغريب الميت في شوارعنا

وعندما تهدأ رئتاي
وتغمضان كعينين جميلتين
ويمتلىء صدري برائحة المطر والجدران الوحيدة كالانياب
وما من جديلة تُبعثرها الريح فوق وجهي

وما من حلمة تسقط كالدمعة فوق الصفحات
سأبكي بمرارة
سأعضّ الارض التي اهانتني
سأغرس اسناني حتى اللثة في الارض التي شردتني
واتذكر الامشاط القذرة
والنهود المتشابكة كالاغصان في المنفى
وامّي التي تنتظر اوبتي من النافذة
كأنني فراشة او ذبابة

سأمرر يدي على خطوط الحافلات
وهي تبكي تحت ورق الخريف
على الارصفة التي تسكعت عليها
والاعمدة العديدة التي اتكأت عليها
واسمع قلبي وهو يهتف من اعماق الارض المذنبة :
انتقمْ لبأسك وكفاحك
تذكرْ دموعك في باحة المدرسة
واصابعك التي اهترأت على قبضات الحقائب
تذكرْ شقيقاتك النحيلات
وآذانهنّ المثقوبة بالخيطان
ومتْ هكذا بين البحر والصحراء
بين الوحل وقمامات الاشعار
ايها الفلاح الذي له عجرفة الملوك

آه ايها المطر

يا غباراً من الحبر والدموع
يخيل لي انني اكثر الاموات انيناً وكلاما
لقد جئت متأخراً الى هذا العالم
كزائر غريب بعد منتصف الليل
كان يجب ان اخلق مع اولئك الرومانسيين القدامى
ذوي اللحى المتهدلة
والياقات التي يأكلها العث
ان اعيش في تلك الايام الغابرة
سمكة او ملاّحاً او صولجاناً
اقطن عند اولئك المرابيات الشقراوات
في غرفة من القرميد الاحمر
جواريرها من الازهار
وجدرانها من مناقير البلابل وعيون الاطفال
احمل ادواتي وكتبي خلف ظهري
وهراوة في حزامي
وامضي داخل الغابات الخضراء
في الضباب والاوحال والمستنقعات
احتسي الخمر
وآكل الحشائش والطيور النائمة
وأقذف مع زجاجتي ومحبرتي
كل ليلة خارج الحانات .